

قصة الانقلاب

تضليل

عاد نوري السعيد وفاضل الجمالي في كانون الاول سنة ١٩٤٧ من جمعية الامم المتحدة بزي فرسان فلسطين وعلى قم كل منهما زبد من آثار تلك المعركة التي اجمالت السياسة قداحها بمهارة .

واقبلا على لندن لتعلن هذه العاصمة الساحرة عنهما بطولة الدفاع عن البلد الشهيد ، وقد أعلنت ما تشاء ان تعلن حتى رفعت من صاحبينا علمين شاءت ان تقول إنها تعلم منهما ما لا نعلم نحن ... ؟!

ولم تكن وحدها مهتمة بفلسطين فقد كانت قيامة فلسطين قائمة في بغداد أيضاً وفي غيرها من عواصم العرب .

حدثت ولا حرج عن مكاتب التطوع ، وعن تصريحات رؤساء الحكومات العربية ، وعن حمى الصحافة التي لم تكن تعرف انها

مسيرة الى غير غاية ، ودون هضم لما تهذي به من الصراخ الاصم!..
لقد عاد نوري وعاد معه فاضل الجمالي بطلين . وأقبلا فارسين
معلمين ، ولكنهما لم يعودا الى بغداد ، وانما عادا الى لندن ، ولم
يقبلا على فلسطين بل اقبلا على انشاء «الدفاع المشترك» وتعديل
المعاهدة العراقية لتكون سبيلاً الى تعديل المعاهدات العربية .

نوري في اللجنة السياسية

وكانت لجنة الجامعة العربية السياسية مجتمعة في مصر تجزل
الخطب لنار فلسطين وتثير العواطف تحت «قدرها» الفارغ لاسكات
الجبايع، وإلهائهم عما كانت تكتمه من اسرارها باسم المحافظة على
فلسطين وانها لتكتم في الواقع اسرار «الدفاع المشترك» الذي
كانت تسير اليه باحتياط وتحفظ .

وليس أدل على هذا من استدعاء نوري السعيد من لندن الى
حضور اللجنة السياسية في السابع عشر من كانون الاول بعد
الاعلان عن انها كه في أحد اجنحة فندق «كلاردج» بمشاريع
سياسية خطيرة .

ولم يكن الرجل عضواً في اللجنة السياسية ولكن له حقاً طبيعياً
في هذه المؤسسة التي كان له شرف العمل في بنائها...؟!
ولننظر ما استعصى على (جبايرة العرب...) في اللجنة
السياسية من مشاكل فلسطين ، هذه المشاكل التي تعقدت على
أيديهم...

من الحق ان الوثائق في هذا الموضوع تعوز الباحث لانها كانت

ولا تزال سرية يعضون عليها بالنواجذ ، ولكن الدوائر الانكليزية صرحت في ١٨ كانون الاول بان الجهات الانكليزية لم تحتج على تدخل العرب الشديد في قضية فلسطين ، « وان المسائل اتفق عليها شفهيّاً في بغداد والعواصم العربية » .

وهذا وحده يعطينا صورة عن مهمة السعيد في الشخوص الى اللجنة السياسية في القاهرة .

فنحن نعلم بان الانكليز لا يحتجون على « تدخل العرب الشديد في قضية فلسطين » ولكنهم يشيرون الخبر من أجل ان يكذبوه ، والغرض من هذا وذاك تكدير الجو بالقليل والقال ، وهي سياسة تعرف الانكليز لها فضلاً في ايامها الشداد .

وسوق هذا الخبر عن فلسطين تعبئة واضحة لهذا الحُتام : « وان المسائل اتفق عليها شفهيّاً في بغداد والعواصم العربية » .

وبديهي أن لا صلة بين المقدمة والخاتمة إلا كالعلة بين مشكلة فلسطين بالذات وبين استدعاء نوري السعيد من أجلها . . .

وتوضيح ذلك أن نوري السعيد استدعي بعنوان استشارته في قضية فلسطين والاستفادة من معلوماته الاخيرة في « لايك سكس » . أما الحقيقة فقد كانت اللجنة في حاجة إلى معلوماته التي أحصاها في فندق « كلاردج » تلك التي تسرب علمها بالرغم من التكتّم الى الكثيرين ، وسميت يومئذ في بغداد بـ « مشروع جديد لتقسيم فلسطين » .

وماذا عسى أن تكون « تلك المسائل التي اتفق عليها شفهيّاً » غير « الدفاع المشترك » وما يتبعه من الاجراءات التي نضمن

للحليفة مصلحة السيطرة على القيادتين العسكرية والاقتصادية ؟..

معول !..

قلت إن الوثائق تعوز الباحث في هذا الموضوع ، وذلك هو الحق ، لان الكثير من الخطوات الخطيرة كانوا يكتفون منها بالمقابلات الشفهية زيادة في الكتمان والاحتياط . وقد صرح أرشد العمري مرة للصحفيين يوم كان وزيراً للخارجية في وزارة حمدي الباجه جي فقال : لقد جئت الى هذه الوزارة فلم أجد وثيقة ولا سجلاً رسمياً للمخابرات والمشاريع الدولية المهمة ، لان نوري السعيد لا يهتم بهذه الامور ويكتفي بالمحادثات اللسانية .

قال ذلك بلهجة الناقد ، وقد فهمت أنا من يومئذ أن هذه سياسة خاصة مبناهما التملص من المسؤولية ، ومغزاهما التخريب ، وتعليم الموظفين خلق الاستهتار ، وفق منهج استعماري مقدر .

ومهما يكن من شيء فان الذي لاح لنا وفهمناه من الاندية العلية ان اسنداء نوري السعيد كان الجزء الاخير من الخطة للشروع بتنفيذ معاهدة الدفاع المشترك ، التي افسدتها وثبة العراق بعدئذ فاضطرت الانكليز لتوجيه الخطة في اتجاه آخر سنراه فيما بعد .

يقظة بغداد

وكانت انباء هذه الخطة تتسرب الى الاندية السياسية وتقرع اسماع السياسيين المهتمين بمراقبة الحركة الوطنية ، وكان ما يبلغهم

من هذه الانباء يدعواهم إلى التكتل ازاء التدابير التي كانت وزارة صالح جبر تتعهد بتنفيذها .

وكانت حكومة صالح وانصارها يحسون بما يجري من استعداد لنقض غزلمهم ، وابطال سحرهم ، ولكنهم كانوا مغرورين غروراً كبيراً باحراز الاغلبية البرلمانية ، ومع ذلك فقد احتاطوا للامر فبنوا (خط الدفاع) عن سياستهم بصرف اهتمام الرأي العام الى قضية فلسطين ووضعها أمام الجمهور حيث لا يستطيع معارض ان يشغل بغيرها فان فعل بدا - بحكم هذه الحطة - مارقاً ، ووصفه انصار (معاهدة بورتسموث) بالخروج والتصهين وما شاؤوا من هذه الالقاب المفتراة .

ولا انسى ان معالي الاستاذ الشبيبي - وهو من اعلام الجبهة البرلمانية - نشر كلمة في تلك اللحظة رأى فيها ان واجب الاصلاح الداخلي يتوجه على العراقيين قبل اهتمامهم بحل مشكلة فلسطين ، ولا انسى ان الافواه يومئذ نالت منه ما لا ينبغي ان تنال من امثاله . غير أن الكلمة أحدثت الامر المطلوب اذ تبهم فيها ناس كثيرون ، ثم كانت ازمة الغلاء عاملاً من اكبر العوامل على نجاح الجهود التي اشتركت بوضع تلك الكلمة ونشرها .

وكان هذا اول الغيث في افساد خطة انصار المعاهدة ، فقد بطل مفعول الدعاوة لفلسطين وكانت هي الدخان الصناعي المتأخر لانزال المعاهدة بين طياتة وفي ظل غيمه وظلامه .

وفي حين ان الرأي بدأ يتجه إلى ما يجري وراء النداء والضوضاء باسم فلسطين ، كان لا بد للحركة الوطنية من مواصلة

السعي . لان صالحاً كان قد سخر نفراً من ذبول الاستعمار ان يشغلوا الناس باخبار التطوع وجمع الاكتتابات باسم (جمعية انقاذ فلسطين) على ان تبذل هذه الجمعية بالسخاء الذي 'تظهر مزيتته ازمة' الرغيف والقلّة' التي مني بها الناس من تعقيد الحياة الاقتصادية المقصودة لسياسة الاستعمار بتهديد الشعير والتغاضي عن تهريب الحنطة ، كي يكون البذل عند الحاجة مغرياً للفقراء إلى جانب السيطرة على الاغنياء باجازات التصدير .

وكادت الجمعية هذه تنجح بمهمتها فعلاً لأن البذل كان مركزاً باسم التطوع لفلسطين ، ولأن المجاعة كانت هي التي تصنع تأثير هذا البذل .

وهاتان الوسيلتان كانتا عظيمتي الحظ من الحكمة السياسية لولا ان يفسد الوعي الصحيح اثرهما .

جبهة الدفاع عن فلسطين

وكان مفتاح افساد هذه الحطة ان تساءل الوطنيون عن هذه النفقات التي لم تكن تناسبها فلة الوارد من الاكتتابات ، وعن مصادرها التي لم تكن واضحة للرأي العام ، وعن سلوك القائمين بتوزيعها الذي لم يكن يرضي المخلصين من الوطنيين .

وقبل ان تفتضح اسرار هذه الاسئلة بما يجاب عليها ، بدأ المتبرعون ومن يجدون في انفسهم نية التبرع يشكون بمصير أموالهم ، أما المعروفون من اشخاص (جمعية انقاذ فلسطين) فكثرتهم من لصوص الموظفين المستقلين والمفصولين ، وهم في

الحالين بمن عرفوا بخدمة السياسة الاستعمارية .
هذا ما حدا بالهيئات الوطنية ان تتزعم الموقف في توجيه
القضية الفلسطينية .

والذي حدث بعد تصدي الهيئات الوطنية إلى ذلك ان اسرع
أنصار المعاهدة للتدخل خوفاً من الفضيحة والحذلان من جهة ،
وحرصاً على التوازن بين سياسيي المعاهدة وفلسطين وفق خططهم
المرسومة من جهة أخرى .

وتوجهت الجهود على اثر ذلك إلى تأليف جهة متحدة ضمت
ممثلين عن جمعية الدفاع عن فلسطين التي كانت تألفت من الاعيان
في أواخر آذار سنة ١٩٤٦ لغرض من أغراض السياسة التي لعب
أبالستها^١ دورهم في اسقاط حكومة السويدي بعدئذ .

كما ضمت ممثلين عن الاحزاب والجمعيات وكافة المؤسسات
الجماعية المعروفة في بغداد ، وفي ضمنها مؤتمر العشائر الذي عقده صالح
جبر في الحلة باسم فلسطين ايضاً .

ولم يكفد يتجه السعي الى ذلك حتى دبرت كتيبة نوري التي
اقامت أمينها السيد عبد المهدي « عيناً » دائماً في مجلس الاعيان
يرقب الحوادث ويرفع التقارير - دبرت هذه الكتيبة حيلة بارعة
لهدم هذه الجبهة بارسال عقارب التفرقة تدب بين صفوفها في اجتماعاتها

(١) هم فرسانها السبعة صالح جبر وارشد العمري وحمدي الباجه جي
وعبد المهدي المنتفكي وصادق البصام ومصطفى العمري وزعيمهم نوري السعيد .
وهؤلاء هم الذين تألبوا من قبل على السيد محمد الصدر الذي ترفع عن منازلهم ،
كما تألبوا على غيره من اعلام القضية العراقية .

التمهيدية . وكان الرتل « الخامس » المكلف بهذه المهمة مؤلفاً من صادق البصام وحمدي الباجه جي وموحدان الخير الله ، وانما اختاروا الاولين من الاقندية لانها اقرب القوم إلى العاطفة والبساطة ، واقدرهما على الاصطدام والانفجار .

وهكذا كان ، فقد اصطدم البصام بالشبيبي واصطدم الباجه جي بالمدفعي ، وكاد الامر ان يتم لهدم الجبهة لولا أن يتدارك الامر سماحة الصدر بزعامته وحكمته .

وقد شهدت بنفسني مؤتمراً في ديوان رئاسة الاعيان بعد احدى جلسات الجبهة الصارخة . وبعد أن خرج جميل المدفعي غاضباً - شهدت بنفسني في ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٧ مؤتمراً سرياً مؤلفاً من السيد عبد المهدي وصديق البصام وجمال بابان يرفع تقريره عن الجلسة لنوري السعيد . وكان السيد عبد المهدي يرعد ويزبد ويهدد بالانفصال عن الجبهة وسحقها بالقوة . وكان نوري السعيد يغريه بذلك ويأمره أن يمضي بهذه الخطوة ، غير أن سماحة الصدر يدخل أثناء ذلك فيقول لنوري السعيد : هذا رأي صياني والمصلحة انما هي توحيد المساعي ، اننا نريد أن نضرب على أيدي هؤلاء الصبيان الذين جروا للبلاد أفدح الخسائر بمحاسنهم الفجة .

ثم عالج الموقف بعد هذا الاجتماع الخاص وألف الجبهة منتصراً على الدسائس التي حيكت لتفريقها .

ولعلك تتساءل عن صلة هذه القصة بالمعاهدة وباجوابها الغائمة ، والجواب انها منها في الصميم ، ولكي نوضح ذلك نشير الى وجه الخلاف بين الفريقين داخل الجبهة .

وكان الخلاف يدور بين الفريقين على مدى مساعدة فلسطين في مثل هذا الظرف بعينه ، وعلى ان احوال العراق الراهنة تستحق العناية والاهتمام . أما أنصار نوري فكانوا يرون نسيان العراق والانصراف الى الاهتمام بفلسطين فقط ، وأما معارضوهم فكانوا يرون ان الاهتمام بفلسطين من النوافل بالقياس الى ما تصير اليه الاحوال الداخلية من الانتكاس والتودي .

وهذا النزاع ينحلّ في نهاية الامر الى النزاع حول المعاهدة . فالقائلون بالاهتمام بفلسطين فقط يدعون الى تصديق المعاهدة ضمناً ، والقائلون بالاصلاح الداخلي يدعون الى رفضها ضمناً ، وقد كانت يفهم كل من الفريقين لغةً صاحبه دون أن يصرح ، لذلك كان الصراع بين الرايين عنيفاً بالغ العنف ، وان كانت تعابيره مجازية . وكان الصراع يدور في الواقع على محور مبدئي اذ كان موضوعه : (استغلال العراق أو استقلاله) .

ثأر الجهاز الوطني

هذه صلة موقف جبهة الدفاع عن فلسطين بمعاهدة «بورتسموث» . وقبل رفض المعاهدة التي لم تكن واضحة النصوص يومئذ كان يحفز القوم للاتحاد الثأر للجهاز الوطني المهان ، ويدعوهم الى التكتل الاستهتار الاستعماري وتفريطه باقدار رجال العراق واعلامه ، فقد تحفظتهم السياسة الانكليزية واحداً بعد آخر واسدلت بينهم وبين الجيل الطالع ستاراً مظلماً لنقطع صلة الماضي بالحاضر ، ونحول دون معرفة الوارثين من الشباب بتراثهم الوطني في جهاد الشيوخ .

ودأبت على ذلك سنين عدة تزين للشباب الاستهانة باقدار الاعلام وتجريء الاوباش على النيل منهم والغض من شأنهم حتى أقعدت كبارهم في عقر بيوتهم، فارتين الى كرامتهم من هذه الحرب المنكرة الشاذة .

ذلك من أكبر العوامل وأهمها على الوثبة والعمل على الاصلاح بوضع الامور في أنصبتها وإعادة المياه الى مجاريها، ونزع السلطة - وهي الزمام - من الصنائع والممالك .

هذا مضافاً الى عامل آخر لا يقل أهمية عن هذا العامل وهو شعور الطبقات الثقافية بما يلحقها من إهمال ، وما يحال بينها وبين التقدم من جهة وبين الحرية من جهة أخرى، فالموظف والطالب - وهما المدركان في العراق - ممنوعان عن الرأي السياسي ، محرومان من حرية التعبير حتى عن الحقوق الوطنية .

النفوذ الثقافي

وقد ارتبط هذان العاملان في هذه الوثبة ارتباطاً وثيقاً ، والتقىا على موعد مقدر في اللحظة المعينة ، فتكوّن منها الوعي الصارم الذي كان أداة الانقلاب في صورته الجديدة .

وقد حفظ تاريخ العراق ألواناً من الانقلابات اعتمد بعضها على قوة العشائر العراقية كانقلاب ياسين الهاشمي ، وبعضها على قوة الجيش كانقلاب بكر صدقي أولاً وانقلاب رشيد عالي ثانياً، ولكن الانقلاب الاخير لم يعتمد على هذه الوسائل التقليدية الشاذة ، بل اعتمد على « الوعي » فقط ، فجند الطلاب في مظاهرات سلمية

أفضت الى الغاية المطلوبة .

وبدأت مساعي الجهة التوجيهية تعمل عملها هذا في النصف الثاني من كانون الاول سنة ١٩٤٧ أي حين كانت لجنة الجامعة العربية في القاهرة تدور حول نوري السعيد لنستمع اليه وهو يتحدث عن مجهوداته في أروقة فندق « كلارنج » في لندن باسم استيضاحها إياه عن ماجريات الاحوال في أمم جمعية الامم المتحدة في « ليك ساكس » .

وكانت الهيئات الوطنية وعلى رأسها سماحة الزعيم الصدر تقدر - كما كانت تدل الظواهر - أن الجو السياسي سينكشف عن سوء لا بد لدفعه من تضحية ، ولا بد للنصر عليه من شهيد .

الرواية

ترك نوري السعيد زميله فاضلا الجمالي في لندن ليتم ما بداؤه هو وخف إلى عمله في الجامعة العربية - كما قلنا - بالاشتراك مع زميله صالح جبر .

وأقبلا (صالح ونوري) على جناح الريح ، لا من القاهرة رأساً بل من عمان عاصمة جلالة الملك عبدالله ، إذ هبطا فيها وأما بملكها فقضا عليه نبأ « المعاهدة » ... أو نبأ « المشاريع » التي تتمخض بها « بطن » لندن لتلد « سياسة العرب » بعد الحرب الماضية وقبل الحرب الآتية .

وكانا ينويان أن يعوجا بيروت التي وضعت كفها بكف بغداد ، ولكن طارئاً من الاحداث الفاجئة أمرهما بالعودة إلى

العاصمة ، ففي العاصمة ما يدعو إلى سرعة العودة .

وكان جناحاهما يصفّان للهبوط في مطار بغداد المدني ظهر الجمعة التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، وكنا يهبّطان من سماء الفتح ببطولة الفاتحين ...!!

أليست آية ذلك هذا الاستقبال الضخم يضم متروفي عاصمة فيصل وازيان (مالها) النافذين ؟ ..

نعم ولكن آية ذلك الاولى اقبال سمو الامير عميل على صهوة جواده ويشارك المترفين بنشوة الاستقبال العظيم ؟ !

وليس من المنتظر ان يتحدث الرجلان أو أحدهما عن (سر) هذا الفتح الذي يسوق لهما هذا الاستقبال الضخم ، وحسب الناس ان يعلموا من صالح ان الجامعة توصلت إلى « نتائج سارة تضمن فوز العرب ، والتفاصيل لا بد من بقائها سراً وذلك كل ما يهم الرأي العام » ! ..

ولندع (سره) في صدره لنرى مدى النشاط المتفاعل بعد وصوله عمّ عساه ان يسفر .

وفي اليوم الثاني غدا صالح على مكتبه في مجلس الوزراء وغدا نوري على ديوانه في مجلس الاعيان ، ولم يكن صدى صوت فلسطين مبشراً بخير ، فبغداد توشك ان تنصرف عنه إلى معارك الحبز حول الثنائير ، وإلى التأثير بالكتل السياسية الحذرة ..

ورن التلغون السري في ديوان مجلس الوزراء فاذا السيد عبد المهدي يقول : « لقد بسطت الامر الى نوري باشا والاحوال على غير ما يرام ، فقد ظهرت هوة صعبة الاجتياز ، ولا بد لنا من إلهاء

الرأي العام بقصة جديدة غير فلسطين . ويرى نوري باشا تحريك
(العامل المساعد) من الحوادث الحساسة .

ويلقي صالح جبر التلفون وهو يقول : « اورتيت ! » حسناً !
سأفعل متى وصلت البرقيات ، وما أظن اننا في حاجة الى الجهد
حين تصل .

ولا يطلع الصباح حتى تصل البرقيات .. فاذا هي تحمل
تصريحات لجلالة الملك ابن السعود تتضمن حمايته الاميركان من عمال
النفط ، واحتضانه الاستعمار الاميركي الجديد .

وكان ما توقع صالح إلى حد إذ تناولت الصحف الموضوع ،
وتناولته انا بجرأة ولكن بحرية تنصرف للبحث بأسلوب علمي مجرد
بعيداً عن اثارة النعرات . واثارة الموضوع على هذا النحو لا تأتي
بالغرض من التفريق ، فاوعزوا إلى الدكتور عبد المجيد القصاب -
وهو نائب - ان يعرض للموضوع في المجلس ويجره إلى النقطة
الحساسة ، غير اني كنت لهم بالمرصاد فوجهت في « الساعة » كلمة
إلى النائب الشاب الدكتور عبد المجيد ، رجع بعدها إلى الحق ،
وبذلك أبطلت مفعول ما ارادوا .

وكان الاسبوع الاخير من كانون الاول يتهيأ (للحدث الاكبر)
(حدث المعاهدة) وذلك ما يضطرهم الى إشغال الناس بامر ما ،
وان كان ارجاع الناس عن الاهتمام بما يجري وراء الستار امراً
صعب التحقيق .

وقد بدت الخطوة تدنو والفرصة تقترب ونشاط كتلة نوري -
صالح يزداد كما يزداد نشاط الهيئات السياسية فماذا يشغلون الناس ؟

على أثر هذا أثر حادث محلي يتعلق بالوزارة نفسها ، فاشيع ان الوزارة مستقبلة ، ونسجت حول استقالتها أقاويل استناداً إلى اجتماع وقع بين نوري وصالح ، وبينما كان الغرض من هذه الاشاعة التغطية فقط فلا نستبعد أن يكون صالح قد فكر بالاستقالة على أثر النصائح الكثيرة التي أسداها اليه جماعة نحن منهم والسيد سعد صالح - وهو أشد خصومه - منهم أيضاً ، ولكنّه منع في أغلب الظن فامتنع .

ومهما يكن من شيء فقد نما الحُصام السياسي في الأروقة السياسية واستضرت المعارضة ، وكان كل شيء في الجو يدل على ان عاصفة تهباً للهبوب .

وعوض أن ترد تلك الظواهر القوم عن عزيمتهم حفزتها للاسراع واكدت نيّتهم على الفتك . هما كاف الامر ظانين أن الشدة أضمن في إنجاح المسعى .

ولم يبق يوم الثلاثاء ٢٣/١٢/٤٧ شك في أن النشاط الذي كان يبدو غامضاً قد أنتج العزم على ابرام المعاهدة الجديدة ، ففي هذا اليوم طيرت برقية إلى فاضل الجمالي تأمره بالبقاء في لندن بعد ان كانت عودته مقررة يوم الاربعاء .

أما بقية أعضاء الوفد فلم تتضح اسماؤهم أول الامر وكان صالح مهتماً بأن يكون نوري السعيد وتوفيق السويدي من زملائه ليحملا عنه بعض العبء ، وكانا يحاولان التملص ليحملاه العبء وحده ، غير أنه استعان عليها وأرغمها على ان يكونا معه فكانا .

وبدا للقوم أنهم قادمون على أمر خطير لا ينجيهم فيه من سحق

الشعب إلا أن يكونوا في حمى منبع ، لذلك سلكوا إلى تحصين أنفسهم بالخطوات التالية :

١ . مؤتمر قصر الرحاب

أشركوا سيد البلاد بالامر ليؤمّموا الشعب أنه هو أبرم المعاهدة ، وبذلك أرادوا أن يخرجوا انفسهم من العهدة ويلقوا عن عواتقهم ثقل المسؤولية .

ورغبوا إلى سموه في مشاورات استمرت طوال اسبوع أن يدعو رجال السياسة الى مؤتمر في قصر الرحاب ويمهد لتعديل المعاهدة ، وكان يوم الاثنين ٢٨/١٢/٤٧ هو التفسير الصحيح لذلك النشاط الغامض ، ولتلك الحركة غير المعتادة التي خبط فيها المعلقون السياسيون خبط عشواء .

وظهر أن المشاورات راضت سمو الامير على دعوة أقطاب السياسة للمذاكرة في تعديل المعاهدة .

وفي مساء يوم الاحد اجتمع في قصر الرحاب سماحة الزعيم الصدر وأصحاب الفخامة والمعالى نوري السعيد وصالح جبر وحدي الباجه جي وتوفيق السويدي وأرشد العمري وعمر نظمي وصادق البصام وعبد المهدي المنتفكي والمندفي ونجيب الراوي ونصرة الفارسي والشبيبي في نفر بلغ عددهم ١٨ .

وكان متوقعاً في هذا المؤتمر أن يبحث في الاسس والمبادئ التي يتركز عليها تعديل المعاهدة ، ولا سيما بعد ان سبق باجتماعات عدة بين رئيس الحكومة وانصاره ، وبعد أن كان التعديل يتصدر

المنهج الوزاري بتلك المادة المختصرة ، وبعد أن سارت المفاوضات به بين الحكومتين العراقية والانكليزية خطوات واسعة ، وبعد أن فاتحت الحكومة العراقية زميلتها في الموضوع ، وعاد الجواب بالاجاب .

كان متوقفاً بعد هذا كله أن تبحث الاسس والمبادئ ويؤخذ فيها رأي المدعويين، ولكن شيئاً من هذا لم يقع، وكل ما حدث في المؤتمر ان تكلم سمو الامير فحدثهم ببعض مساعيه في انكسار لاقناع الانكليز بتعديل المعاهدة وحملهم على ترك المدة الباقية من أمدتها الذي ينتهي في سنة ١٩٥٢ ثم طلب الى المدعويين في نهاية الحديث إبداء ملاحظاتهم ليسير على ضوئها المفاوض العراقي في مباحثاته مع المفاوض الانكليزي غداة يلتقيان .

وجدير بالذكر ان الجبهة الدستورية المعارضة سجلت على لسان ممثليها في المؤتمر، الشبيبي والفارسي، اعتراضاً طلبت فيه أن تعرف نقاط التعديل لتستطيع ابداء الملاحظة .

وكان من رأي سماحة (الصدر) في هذا الموضوع تأجيل التعديل بناء على عدم ملائمة الظرف الراهن لهذا التعديل الذي لن يكون في صالح العراق، فاذا كان التعديل محتوماً فلا ينبغي أن تتجاوز مدته المدة المفروضة لمعاهدة سنة ١٩٣٠ على أن تحذف بموجبه القيود الثقيلة التي حملتها هذه المعاهدة . وإذا لم يكن بد من تمديد المعاهدة الى أجل بعيد فلا بد في هذه الحال من اعتماد وفد وطني أمين على كرامة العراق واستقلاله .

غير أن المؤتمر اكتفى بما قاله سمو الامير ولم يعقد اجتماع آخر

لابدء الملاحظة .
وذلك ما دلّ على أن المؤتمر كان يراد به تحصين المفاوض
العراقي فقط .

٢ . مؤتمر النواب

وزيادة في التحصين وضمان التأييد دعا السيد صالح جبر نواب
مجلسه وهم الاكثرية مساء الثلاثاء ٣٠/١٢/٤٧ الى اجتماع عقده في
مجلس النواب ، وأدار معهم الحديث في تعديل المعاهدة .
فأعدهم لتصديقهم — وشدّ أزره في تعديلها فوعده النصره ،
وكانوا اكثرية النواب الغالبة لا يشذ عنهم غير خمسة عشر نائباً
هم اعضاء (الجبهة الدستورية) بقيادة الشبيبي والفارسي . وبينما كان
مهدي الجواهري في عداد نواب صالح الحاضرين المؤيدين للمعاهدة
انقلب بعد ان تبين قوة الرأي العام وبرهن من جديد على انه
(شاعر) على مذاهب الادب القديمة .

٣ . انصاره صالح ،

ومضافاً إلى هذا كله فقد أوعز صالح جبر إلى السيد عبد المهدي
ان يجمع زملاءه من الاعيان واخوانه من « الشيوخ » فيعدهم اعداداً
تاماً لتأييد التعديل ، وجرت على اثر هذا الابعاز اجتماعات كثيرة
بين السيد عبد المهدي وبين زملائه واولئك واخوانه هؤلاء . تضمن
الغرض المنشود .

وبدا لنا من كل هذا الاحتشاد امران : الاول ان المعاهدة

جائزة حتماً والا لما اقتضت هذه التعبئة الهائلة ، والثاني انها في آخر مراحلها بل هي في مرحلة التوقيع .

وقد اشرنا في اعداد الساعة ابتداء من عددها رقم ٩٣٩ فصاعداً إلى هذا، ثم جهرنا برأينا في المعارضة الجريئة قبل سفره الى لندن وقبل ان يعارضه في المعاهدة احد قبل « الساعة » .

موقف الاحزاب والهيئات السياسية

كل ذلك لم يحد من نشاط الاحزاب والهيئات السياسية بل بعثهم على اليقظة والحذر. اما الاشخاص المستقلون ممن يتمتعون بثقة شعبية ممتازة كسماحة الصدر وحكمة سليمان فكانت كلماتهم تروى في هذا الموضوع ومؤداها استهجان البدء بالمفاوضة في مثل هذا الظرف. ثم كان هذا الاستهجان اجماعياً عبرت عنه الجبهة الدستورية في المجلس النيابي بالجلسة المنعقدة صباح الاربعاء في ١/١/٤٨ واذاغت الاحزاب بيانات بهذا المضمون جاء منها في بيان الحزب الوطني الديموقراطي ما يلي :

١ - العلاقات العرفية الانكليزية لم تقم بالاساس على احترام العراق كدولة مستقلة، وعليه فيرى الحزب أن تقوم هذه العلاقات على أسس تضمن له السيادة .

٢ - ومع ذلك فالحزب يرى شذوذاً في فتح باب المفاوضات لانه لا يعترف بالوضع القائم حكومة وبرلماناً .

٣ - هذا إلى أن تعديل المعاهدة يجري في ظرف تتجه فيه البلاد العربية إلى اعادة النظر في جميع امتيازات الدول الاجنبية .

٤ - وعليه فعقد أية معاهدة جديدة تعتبر اجحافاً بحق البلاد ،
ويسبب صعوبات جمة في المستقبل للعلاقات العراقية الانكليزية .
ويعتبر هذا التلخيص وثيقة معبرة عن رأي حزب الاستقلال
وحزب الاحرار جميعاً في بيانيهما المذاعين في هذا الموضوع . وكانت
الأحزاب تلتقي في الموضوعات المستمدة من هذا الظرف وشبهه
وتصدر عن قيادة موحدة ، وكان لها جميعاً جهد مذكور في توجيه
الطلاب واذكاء روح الوطنية فيهم .

والحق ان النشاط الشيوعي وجد في هذه الحركة متسعاً للنشاط
فكان أحد العوامل التي اشتركت باعداد الطلاب لانه كان يلتقي
والنشاط القومي في هذه الفرصة المواتية .

غير أنه لم يكن ذا تأثير إلا على الاقلين ، وكان اكثر اقلية
مدفوعين بروح الاصلاح ، والنقمة على الفساد الموروث من العهود
السابقة كلها لا على معاهدة بورتسموث فقط .